

كُنْتُ مَلِكاً



إعداد

عادل بن محمد العبد المولي

ح) عادل محمد العبدالعالي، ١٤٢٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبدالعالي، عادل بن محمد

كنت ملتزماً. / عادل بن محمد العبدالعالي - ط ٢. - الدمام، ١٤٢٦هـ

.. ص ؛ .. سم

ردمك : ٤ - ٤٢٢ - ٤٧ - ٩٩٦٠

١- الوعظ والإرشاد ٢- الطاعة أ- العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٢٦/٧٤٣

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٧٤٣

ردمك : ٤ - ٤٢٢ - ٤٧ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ

* بين يدي الرسالة

الحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فصور من التساقط صرنا نراها هنا وهناك في صفوف شباب الدعوة ، شباب يجتهدون في التمسك بدين الله ويلتزمون بسنة رسول الله ﷺ وبيذلون الكثير في الدعوة إلى الله ثم يصابون بالخور الإيماني والفتور الدعوي وقد تكون النهاية الرجوع إلى الضلالة - والعياذ بالله - .

قد يقول قائل : ما ضرنا أن يترك فلان الالتزام وأن يتراجع إلى المعاصي والآثام ؟ ولماذا نلتفت إليه أو نحزن عليه ؟ إن ارتد هؤلاء على أدبارهم فإن من هو خير منهم قد اهتدى واستمسك بخير الهدى .. اغسل يديك منهم وكبر عليهم أربعاً وادعوا الله أن يعافيك مما ابتلاهم .

ويُجاب : بأن صدق محبتنا لهم تدعونا للحزن عليهم - والمؤمن لا يكمل إيمانه إلا بذلك قال ﷺ : ' لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ' ، وها هو رسولنا ﷺ يُشفق على مُشركي قريش أن عرضوا عن رحمة الله ورضوانه قال تعالى : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِدَا الْحَدِيثِ آسَفًا ﴾ فالرسول ﷺ مع اعتقاده الجازم بأن دين الله ظاهر كما قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ . إلا أن صدق حبه للآخرين ورحمته وشفقته بهم جعلت قلبه ﷺ في حزن على أحوالهم ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾

إن هذه الرسالة "كنت ملتزماً" دعوة للصالحين لرحمة من أبتلي بالانتكاسة وهي أيضاً شحذ للهمم للتحرك لإنقاذ هؤلاء من شرور أنفسهم ، وبذلنا لن يضيع فإما أن يفيق المنتكس من ضلالتة أو تبقى - على الأقل - في قلبه حبة من يصدقون محبته .. والأمر كما أخبر الله ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ .

وهذه الرسالة "كنت ملتزماً" ذكرى لنا للأخذ بأسباب الهداية ولتجنب سبل الضلالة ، وأن لا يأمن المرء على نفسه فيفتن من حيث لا يشعر (*) .. ولنقل بدعوة صادقة "اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك .. اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك" وندعو لإخواننا : "اللهم رد من ضل إليك رداً جميلاً" وندعو لأنفسنا : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ .

عادل بن محمد العبدالعالي

إمام وخطيب جامع الفرقان

Adel-abdulaali@yahoo.com

(*) أصل هذه الرسالة محاضرة بنفس العنوان ، تُلقيت بالقبول عند الكثيرين بحمد الله ، ورأيت أن من تمام الفائدة أن أضيف إليها بعض الزيادات وأجعلها رسالة مطبوعة يسهل تداولها والاستفادة مما فيها ، والمحاضرة المسجلة ألقيت في مسجد صلاح الدين بتاريخ ١٥/١١/١٤١٤ هـ .

٢ - تقارير أطباء القلوب .

قبل أن نعيش مع اعترافات أولئك الذين تراجعوا وانتكسوا عن التزامهم لا بد أن نقف مع تقارير أطباء القلوب ، ليؤكدوا لنا بعض الأمور المهمة في هذا الموضوع وهي كلمات تكشف لنا أسباب الانتكاسة الخفية التي لا يلتفت إليها الكثيرون .

التقرير الأول : من لم يعتصم بالله أبتلي بالضلالة .

قال ابن القيم -رحمه الله- : " فَإِن (العبد) لو اعتصم بالله لما خرج عن هداية الطاعة قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ فلو كملت عصمته بالله لم يخذله أبداً ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾ أي : متى اعتصمتم به تولاكم ، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان ، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد ... وكمالُ النصر على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله (ونقض هذا الاعتصام يؤدي إلى الانخلاع من عصمة الله) ، وهو حقيقة الخذلان فما خلى الله بينك وبين الذنب إلا بعد أن خذلك وخلي بينك وبين نفسك ، ولو عصمك ووقفك لما وجد الذنبُ إليك سبيلاً ... (١) (١) .

(١) مدارج السالكين (١/١٩٨) ، دار الكتاب العربي (بتصرف) .

التقرير الثاني : عدم الانقياد للشرع سبب للغواية .

قال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله - في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ . قال في تفسيرها : " إن الله تعالى إذا منَّ على قوم بالهداية وأمرهم بسلوك الصراط المستقيم ، فإنه تعالى ، يتم عليهم إحسانه ، ويبين لهم جميع ما يحتاجون إليه وتدعو إليه ضرورتهم ، فلا يتركهم ضالين جاهلين بأمور دينهم ففي هذا دليلٌ على كمال رحمته ويحتمل أن المراد (بهذه الآية) فإذا بيّن لهم ما يتقون فلم ينقادوا له عاقبهم بالإضلال جزاءً لهم على ردهم الحق المبين والأول أولى " (١) .

أما من جاهد نفسه على التمسك بدين الله وصبر وصابر فإن الله يسر له الثبات ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩) .

قال ابن سعدي في تفسيرها : " دل هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهاد (أي من يجاهد نفسه) ، وعلى أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية ... " .

* وفي قوله تعالى : ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ ثَبَاتًا﴾ ٦٦ ﴿ وَإِذَا لَأْتَيْنَاهُمْ مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ٦٧ ﴿ سورة النساء وَلَهْدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ ٦٨ ﴿ سورة النساء .

(١) انظر كلامه في ((تفسير تيسير الكريم الرحمن)) .

قال ابن سعدي في تفسيرها : ﴿ وَأَشَدُّ ثُبُوتًا ﴾ فإن الله يثبت الذين آمنوا بسبب ما قاموا به من الإيمان الذي هو القيام بما وعظوا به ... (١) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وأما اشتغاله بالسيئات، فهو عقوبة عدم عمله للحسنات) (٢) . قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ .

التقرير الثالث : من لم يبتغ بالدين وجه الله ضلَّ :

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ” إن إخلاص الدين لله يمنع من تسلط الشيطان ومن ولاية الشيطان التي توجب العذاب كما قال الله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ (سورة يوسف) . فإذا أخلص العبد لربه الدين ، كان هذا مانعاً له من فعل ضد ذلك، ومن إيقاع الشيطان له في ضد ذلك، وإذا لم يخلص لربه الدين، ولم يفعل ما خلق له، وفُطر عليه عوقب على ذلك، وكان من عقابه تسلط الشيطان عليه، حتى يُزين له فعل السيئات، وكان إلهامه لفجوره عقوبة له على كونه لم يتق الله (٣) .

ونقل الحافظ ابن حجر معلقاً على قوله ﷺ : ” وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ” . بقول عبدالحق في ” كتابه العاقبة

(١) مجموع الفتاوى .

(٢) المرجع السابق .

(٣) مجموع الفتاوى .

قال: «إن سوء الخاتمة لا يقع لمن استقام باطنه وصلح ظاهره وإنما يقع لمن في طويته فساد أو ارتياب ويكثر وقوعه للمصرّ على الكبائر والمجزئ على العظام فيهجم عليه الموت بغتة فيصطلمه الشيطان عند تلك الصدمة...»
قال ابن حجر بعدها: «فهو محمولٌ على الأكثر الأغلب»^(١).

التقرير الرابع: التساهل بالذنوب سبيل الضلالة.

قال ابن القيم رحمه الله: «فإذا اشتدت غفلته إلى هذا الحد (أي عن ذنوبه) نقلته ولا بد إلى الإصرار، وهو الاستقرار على المخالفة، والعزم على المعادة، وذلك ذنب آخر، لعله أعظم من الذنب الأول بكثير، وهذا من عقوبة الذنب: إنه يوجب ذنباً أكبر منه، ثم الثاني كذلك، ثم الثالث كذلك، حتى يستحكم الهلاك»^(٢). وقال في موضع آخر: «أنها (أي الذنوب) تضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة، أو تعوقه أو توثقه وتقطعه عن السير، فلا تدعه يخطو إلى الله خطوة، هذا إن لم ترده عن وجهته إلى ورائه فالذنب يحجب الواصل، ويقطع السائر، وينكس الطالب، والقلب إنما يسير إلى الله بقوته، فإذا مرض بالذنوب ضعفت تلك القوة التي تسيره، فإذا زالت بالكلية انقطع عن الله انقطاعاً يصعب تداركه والله المستعان»^(٣).

(١) فتح الباري . (٢) مدارج السالكين .

(٣) الجواب الكافي (١٤٠) .

وقد أخبر بذلك الرسول ﷺ فقال: (إياكم ومحقرات الذنوب، كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود، حتى انضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه).^(١)

التقرير الخامس: اتباع الهوى سبيل الردى:

قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبِعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْعَاوِينَ﴾ ﴿١٧٥﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ﴿١٧٦﴾﴾ سورة الأعراف.

قال ابن القيم رحمه الله: «أنه يُخاف على من اتبع الهوى أن ينسلخ من الإيمان وهو لا يشعر»^(٢).

وقال: «أن اتباع الهوى من المهلكات، واستدل بقوله ﷺ ثلاث مهلكات: «وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع، وإعجاب المرء بنفسه».

وقال: «أن يعلم أن الشيطان ليس له مدخل على ابن آدم إلا من باب هواه، فإنه يُطيفُ به من أين يدخل عليه حتى يفسد عليه قلبه وأعماله، فلا يجد مدخلاً عليه إلا من باب الهوى، فيسري معه سرعان السم في الأعضاء».

(١) رواه الإمام أحمد بسند يحسنه الحافظ ابن حجر (الفتح ١١/٣٢٩).

(٢) روضة المحيين ونزهة المشتقين صفحة ٤٧٢، دار الكتاب العربي.

٣- أسباب الانتكاسة عن الالتزام .

بعد نظر في كلام الدعاة والمربين وتأمل لأحوال المدعوين ممن تراجع عن

التزامه، يمكن أن نذكر أهم أسباب الانتكاسة، وهي كما يلي :

١- عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم الالتزام^(١): ذلك أن عدم الفهم، أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم أي أمر من الأمور يؤدي إلى رفضه، بل ومعاداته أو الزهد به، كما قال الله عز وجل: { بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ [٣٩] } [سورة يونس].

وعليه فإن عدم الفهم، أو الفهم مع عدم الإدراك القلبي لأبعاد ومعالم الالتزام، سيتهي حتمًا بصاحبه إلى التقصير، أو عدم الوفاء بما يقتضيه الدخول في صفوف المسلمين الملتزمين، بل في صفوف الدعاة والعاملين.

٢- العيش في وسط ضعيف الالتزام أو غير الملتزم^(٢):

وقد يقدر الله أن يعيش الشاب الملتزم في وسط ضعيف الالتزام، أو غير ملتزم بالمرّة، فيأخذ في الإقتداء والتأسي بقرناء السوء، أو المحاكاة والمشابهة لهم، لا سيما إذا كان هذا الوسط ممن يقتدي أو يتأسى به، وتكون النتيجة ضعف أو تلاشي الالتزام.

(١) آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، (١٠٤/٢) مختصراً.

(٢) المصدر السابق، (١٠٥/٢) مختصراً.

ولعل هذا السبب يكشف لنا عن السر في تأكيد الإسلام على الأسوة الطيبة، وذمه للقدوة السيئة، لا سيما وقد جاء عن النبي ﷺ قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدَى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا) رواه مسلم.

٣- ضغوط الأهل والأقربين^(١):

ذلك أن بعض الآباء قد تحمله عاطفة الحب لولده، على الحيلولة بين الولد والالتزام لاسيما في هذا العصر الذي صار فيه الالتزام بالإسلام، بل والالتزام بصحبة الدعاة والعاملين لدين الله تهمة.

٤- إقبال الدنيا والتعلق بها^(٢):

وقد يكون إقبال الدنيا بريقها وزخارفها من الآمال والأولاد، والشهادات والوظائف، والمركز والجاه، وتعلق القلب بها، هو السبب في ضعف أو تلاشي الالتزام، يقول الله عز وجل: { مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ [٤] } [سورة الأحزاب] وعليه فإذا أقبلت الدنيا، وكان الاشتغال والتعلق بها؛ لم يبق هناك وقت، ولا طاقة، ولا فكر يساعد على الالتزام بالدين، وحينئذ يكون ضعفه أو تلاشيه. ولعل هذا هو سر تحذير الإسلام الشديد من الإقبال على الدنيا، والتعلق بها، إذ يقول الله عز وجل: { إِنَّ وَعْدَ

(١) آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، (١١٧/٢) مختصراً.

(٢) المصدر السابق (١١١/٢) مختصراً.

اللهِ حَقٌّ فَلَا تُعْرَثُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يُعْرَثُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ [٣٣]} [سورة لقمان]. وجاء عن عمرو بن عوف قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (...فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ) رواه البخاري ومسلم.

٥ - الاستجابة للوساوس والشبهات الشيطانية^(١):

ذلك أن الشيطان قاعد للإنسان - لاسيما المسلم - بالمرصاد، يوسوس بإلقاء الشبهات والأباطيل كي يصرفه عن طريق الله، أو على الأقل يجعل سيره في هذه الطريق مخوفاً بالتضيق والتفريط، وحين يستجيب المسلم إلى هذه الوسوس، وتلك الشبهات، يتلى بضعف أو تلاشي الالتزام، ولعل هذا هو السر في دوام تحذير الإسلام لنا من الشيطان الرجيم ووسوسته فلا نسمع لها، ولا نستجيب: يقول الله تعالى: {وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [٢١٨] {سورة البقرة}.

٦ - الغفلة عن عواقب ضعف أو تلاشي الالتزام^(٢):

ذلك أن من غفل عن العواقب الخطيرة لأمر ما، تعاطى هذا الأمر مع تقصير فيه، أو أهمله وألغاه من حسابه بالمرّة، ولا يفيق ولا ينتبه إلا حين نزول العواقب؛ فيندم حيث لا ينفع الندم، ويتمنى حين لا تفيد الأمانى.

(١) آفات على الطريق، د. السيد محمد نوح، (١١٨/٢) مختصراً.

(٢) المصدر السابق، (١٢١/٢) مختصراً.

٧- الخواء الروحي والتآكل التربوي (١):

فالشاب الملتزم (قد يظن أنه بلغ سنام الأمر من غير أن يحس بالخواء النفسي والروحي، وهو إن لم يفتن لذلك، فإنه ساقط لا محالة؛ فالإيمان كما هو معروف يزيد وينقص؛ بدليل قوله تعالى: { لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ } [٤] { [سورة الفتح] وقوله: { وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى [٧٦] } [سورة مريم] وقوله: { وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا [٣١] } [سورة المدثر] وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: 'إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم كما يخلق الثوب فاسألوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم' رواه الحاكم والطبراني . فتعهد الملتزمين بالتربية - قدماء وجدد - يجب أن يكون شغل المجموعة الدعوية. بل إن الظروف السيئة التي تمر بالدعوة أحياناً تفرض المزيد من الاهتمام التربوي؛ لأن احتياج الناس إلى الرعاية والتذكير إنما يكون أكبر في الظروف الاستثنائية.. و المجموعة الدعوية التي تضعف قدرتها التربوية عن متابعة أفرادها بما يحتاجون إليه؛ ستصاب بنيتها بالخور بقدر ضعفها...).

٨- التطرف والغلو (٢):

فالذين يحملون أنفسهم فوق ما تطيق، ولا يقبلون التوسط والاعتدال في شيء؛ معرضون بشكل، أو بآخر لانتكاسات نفسية وإيمانية.. ومثل هؤلاء

(١) المتساقطون على طريق الدعوة ، فتحي يكن، (بتصرف).

(٢) المصدر السابق، (بتصرف).

كمثل من يريد أن يقطع صحراء طويلة بسرعة؛ فيهلك دابته، ولا يبلغ ضالته.. وصدق رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حيث يقول: 'هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ قَالَهَا ثَلَاثًا' رواه مسلم وأبوداود وأحمد . ويقول: '...إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوُّ فِي الدِّينِ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ' رواه النسائي وابن ماجه وأحمد.

٩- التساهل والترخص^(١):

فالذين يتساهلون في امثالهم لأمر الله؛ سيجدون أنفسهم مندفعين من تساهل صغير إلى تساهل أكبر وهكذا إلى أن يستحوذ الشيطان عليهم وعلى أعمالهم، وفي هذا المعنى جاءت الأحاديث العديدة، منها:

* عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: 'إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشُّعْرِ إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُؤَبَقَاتِ - يَعْنِي: بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ -' رواه البخاري وأحمد .

* وَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: 'إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكُنَّهُ وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْظِلُّ فَيَجِيءُ بِالْعُودِ وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا فَأَجَّجُوا نَارًا وَأَنْضَجُوا مَا قَدَفُوا فِيهَا' رواه أحمد.

(١) المتساقطون على طريق الدعوة ، فتحي يكن، (بتصرف).

١٠ - الطبيعة غير الانضباطية (١):

فهناك أشخاص قد يدخلون في دائرة الالتزام في ظرف من الظروف، ثم يتبين أنهم غير قادرين على التكيف وفق الضوابط الشرعية، وعندما يشعر الواحد منهم بوطأتها وثقلها عليه يعمل على التفلت منها..ومن هؤلاء من يرفض الذوبان في البنية الجماعية للصحة الصالحة، ويحرص على أن يحافظ على شخصيته المغرورة، وعندما يشعر بما يعرض استقلالته المريضة للذوبان يولي الأدبار.

١١ - إتياع الهوى واستحكام الشهوة (٢):

الشباب الملتزم بشر كغيرهم ، يضعفون أمام قوة الهوى و يستسلمون للشهوة في لحظة ضعف ولكن الواحد منهم يعتصم بالله ويسارع إلى التوبة ، ويتجنب خطوات الشيطان فيسلم من كثير من الذنوب، إلا أن البعض تتابع عليه الشهوة تلو الشهوة حتى تتمكن منه، فتستحكم في قلبه وتطغى عليه فتأسره وتسيطر على تفكيره وتصده عن ذكر الله والصلاة، ثم قد ينجر صريعاً أمام معصية دعته له شهوته وقد ضعف إيمانه ورق دينه...حينها يقول لنفسه: ها أنت أصابك الوحل فخوضي فيه، واعتزلي الصالحين فطريقك غير طريقهم.

(١) المتساقطون على طريق الدعوة ، فتحي يكن، (بتصرف).

(٢) الحور بعد الكور ، محمد الدويش، (بتصرف).

٤ - كنت ملتزماً !!

بعدها تقدم من تأصيل وتقرير يحسن بنا أن نعيش مع صور واقعية قريبة من حياتنا تتضمن أحوال بعض المنتكسين، سردها حكاية للسان حال أهلها ، ثم أتبع ذلك استنباطاً للدروس والعبر التي يمكن أن يستفيد منها القارئ من النظر والتأمل في هذا الصور .

الصورة الأولى : حب الظهور أصاب مقلتي .

حكى أحدهم كيف تدرج به الحال إلى التراجع عن الالتزام فقال : «كنت أعيش على هامش الحياة، لم أكن أحسن شيئاً جاداً، هو ولعب وزينة وأهواء وشهوات .. هكذا كانت معالم حياتي ..

وفي إحدى السنوات ومع بداية العام الدراسي دخل علينا مدرس لم نره من قبل (جديد على مدرستنا) ويظهر عليه سمات الصلاح والتدين .. رأيت أنه يردد في الفصل بعض الأفكار الجادة ويثير في الطلاب تساؤلات مهمة !

- هل خلقت لأكون تافهاً ؟

- هل خلقت الله وأنعم عليك بالسمع والبصر وسخر لك الأرض والدواب لتكون عابثاً ؟

- هل .. وهل؟؟ وكانت هذه الأسئلة تطرق قلبي قبل مسمعي وحينها كنت استعرض أيامي فاستحي من إجاباتها المحزنة .

* نظرت إلى هذا الأستاذ نظره إعجاب وتقدير ، وحدثني نفسي لعلني أجده عنده ما ينقضي !

- يا ترى هل يأخذ بيدي لأكون شاباً جاداً في حياتي ؟
- هل يدلني إلى طريق أسلكه فأكون مثقفاً مستنيراً ؟
- أريد أن أكون وأكون .. فهل سيحقق أحلامي وآمالي؟

* شاركت مع هذا الأستاذ الداعية في الأنشطة الطلابية ورافقته في الرحلات ، فانكشفت أمام عيني أحوالٌ أذهلت عقلي وشرحت صدري وابتهج لها فؤادي وأدخلت على حياتي البشر والسرور .

* يا عجيبي من أحوال الشباب الصالح : شاب أصغر مني يؤذن بصوته الجميل ثم يلتفت إلى القبلة فيصلّي الركعات النافلة، بينما أنا قد سقط جسدي وخارت قواي من البرنامج الرياضي .. لما لا أكون خيراً منه أو مثله (على الأقل) ؟

- وبينما أخرجت من جيبي وريقات لأزيل ما تصيب من عرق إذا بذلك الشاب عن يميني يُخرج مصحفاً صغيراً ثم يتغنى بالقرآن ويتلو الآيات .
لا أدري أعجب من حرصه أم من تدبره وتأثره ؟

أين أنا منه وقد هجرت كلام الله إلا من تلاوة باردة في (حصّة القرآن) !!
* خالطت هؤلاء الأخيار وعاشرتهم .. وودعت الضياع، حينها ذكرت الله كما يذكرون وسابقت إلى الخيرات كما يسابقون وبذلت من نفسي ومالي كما يبذلون ورجوت من الله ما يرجون، فأنعم الله عليّ بنعمة انشراح الصدر، وعشت أياماً لن أنساها أبداً..

* وفي إحدى الرحلات وبينما نحن جلوس نتجاذب أطراف الحديث إذا بأحد الأخوة ينبري للكلام عن رياضة الدفاع عن النفس « الكاراتيه » ويعجب من حركاتها .. فأخبرته أنها مستويات ولكل مستوى حزام بلون مميز .. ولم أشعر إلا وقمت من مكاني واستعرضت للحضور ببعض حركات « الكاراتيه » والتي تعلمتها وتدربت عليها في أيام ماضية، أصبح البعض يكبر، وهذا يضحك، وذاك قد فتح عينيه من شدة الإعجاب، فأخذتني النشوة وأثاروا في الحماس فقفزت في الهواء وطبقت حركة «دائرية» فازدادوا إعجاباً وفرحاً .. وأصبحوا ينثرون عليّ المديح ويتمنون معرفة هذه الرياضة العجيبة .. ثم انصرفنا، وذهب كل واحدٍ لمجموعته الأسرية في تلكم الرحلة البرية .

* كان هذا الموقف قد مر عابراً عند معظم الشباب الملتزم إلا ثلثة منهم تعلقت هذه الرياضة وحركاتها في أذهانهم وصاروا كلما جالستهم حدثوني عنها، وسألوني عن حركاتها وضرباتها، وظهروا إعجابهم بقدرتي على القفز في الهواء وأسبغوا عليّ الثناء لإجادتي رياضة « الكاراتيه » .. عندها اشتعل الفتيل في قلبي، وانصرفت الهمة إلى غير محلها ونسيت خلالها أن السعادة ليست بقوة الأجسام وفتل العضلات إنما هي في قوة الإيمان واستشعار لذة الطاعات .

* أمسكت بزمام نفسي على غفلة من إخواني، وذهبت إلى مدرب رياضة « الكاراتيه » استقبلني بالحفاوة والترحيب فطلبت منه السماح لي بمواصلة

التدريب بعد انقطاعي لسنوات فاستجاب لرغبتني، وحدد لي أوقات التمارين، وكانت البداية لدخولي في حياة أخرى .

* ومرت الأيام وأنا على حماسي لهذه الرياضة، بل ازداد تمسكي بها لأنني ارتقيت في مستوياتها وتفوقت على أقراني .. والخطأ الذي لم ألتفت إليه أن هذه الرياضة كانت على حساب اهتمامي بإيماني وانصرفت بسببها عن إخواني في الله ودروسهم التربوية ومواعظهم الإيمانية .

- اعتذرت منهم عن مواصلة اللقاء بهم لارتباطي ببرنامج تدريب مكثف .
- كنتُ أصلُ إلي بيتي مرهق الجسم، فأرمني بجسدي إلى الفراش الوثير لا تلاوة القرآن ولا صلاة وتر ولا ذكر أو دعاء .

* وبعد مباراة ساخنة في إحدى البطولات ختمتها بالضربة القاضية جاء فوج من الشباب العابث وحملوني على أكتافهم وراحوا يصفقون ويمدحون ويطربون لفوزي، وأحسست بنشوة النصر وداخلني السرور والغرور .
* أصبحت أتقاعس عن صلاة الجماعة، وتثاقلت عن صلاة الفجر فلا أصلها في وقتها إلا نادراً ولم أجد وقتاً لقراءة وردي من القرآن، وتناسيت النوافل تماماً .

* حاول بعض الشباب الصالح الاتصال بي وكان منهم من يصارحني بالموعظة الحسنة عن ضعف إيماني وجفائي لإخواني، ومن جهتي وبلا شعور كنت أهجم عليهم بالكلام عن مباريات « الكاراتيه » وكيف تغلبت بضرباتي الحديدية على خصومي في مباراة هنا وهناك .

وشعر هؤلاء أنني في واد وأنهم في واد آخر فانصرفوا عني وانصرفت عنهم وبالضد من ذلك اقتربت من شباب الضياع الذين يصفقون لي غدواً وعشياً، وتمر الأيام وأرجع إلى مقارفة المعاصي ثم أبتليت بشرب الدخان وإدمان السهرات .. كنت ملتزماً بدين الله فأضعت الطاعات ولم أجمع إلا الحركات والبطولات .. » .

● دروس وعظات من هذه الصورة :

أولاً: الشباب الضائع يشعرون أنهم ما خلقوا للعبث .

فإن الكثيرين من الشباب يسيرون بلا هدف ولكنهم يشعرون في دواخلهم أنهم ما خلقوا للعبث ولذا تراهم كثيراً ما يوبخون أنفسهم ويطالبونها بالرجولة ولكن البيئة التي يعيشونها قد لا تساعدهم، وفي هذه الصورة التي ذكرنا نرى هذا الشاب برق أمله أن يكون هذا الداعية المدرس هو السبب في إثبات قيمة له .. ولذلك التحق بصحبته .

ثانياً: الداعية القدوة .. هو المؤثر .

فبعض الدعاة يظن أنه لا يمكن أن يدعو إلى الله ويؤثر بالآخرين إلا بأن يكون تافهاً مع التافهين، وكم تسمع عن دعاة أرادوا دعوة شلة من الشلل فظنوا أن لا تأثير فيهم إلا باللعب بالبلوت معهم وبمشاهدة الأفلام وأياهم دون نكير.. وهذه سذاجة تخرم المرؤة وتضعف الديانة .. وها أنت ترى هذا الشاب لم يُعجب بذلك المدرس الداعية لأنه يجيد لعب الكرة أو لكثرة طرائفه

وهزله، بل أعجب به حينما وجد عنده ما ينقصه من صفات حميدة ولما رأى فيه من قدوة حسنة .

ومن الدعاة من إذا تعرف على شاب ضائع استفتح بدعوته إلى المطاعم والذهاب والإياب فيجد هذا الشاب أنه لا فرق يذكر بين الصالحين وغيرهم، فعند ذلك لا يُحسن الاختيار ونخسر إنساناً بسبب قلة التجربة وسوء التصرف .

وهذه الصورة تؤكد أهمية وجود الداعية القدوة فإن الكثيرين من الطلاب والشباب يتأثرون وإن لم يستقيموا على الدين فإن محبتهم لأهل الخير تزداد .
ثالثاً : سعادتنا بحلاوة الإيمان .

كثيراً ما يتخبط الشباب الضائع بحثاً عن السعادة فمنهم من يظنها في الرياضة ومنهم من يحسبها في معاكسة النساء ومنهم من يظنها في كثرة الأموال والثراء ، فواجب الدعاة أن يبينوا أين السعادة الحقيقية ؟ ومن خلال القصص المؤثرة عن السلف والقدوات يؤكدون للشباب أن السعادة في الإيمان قال ﷺ : ” ثلاثاً من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار “ متفق عليه .
ولذا قال الأول :

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقى هو السعيد

ويوم أن نبث للشباب الضائع أننا نعيشُ سعادة غامرة لأننا نتلذذ بالطاعات ونسارع إلى الخيرات وندعو إلى الله ونُحسن إلى الآخرين لا نريد منهم جزاءً ولا شكوراً ، يومها ستكشف أمام هؤلاء الحقائق وسيبين لهم أن سُبُل الآثام والعبث لا تنتهي إلا بسعادة وهمية مؤقتة تذهب لذتها وتبقى حسرتها ..
وعندها سيشعرون بجاحتهم إلى الاستقامة والدخول في دائرة الدعاة والحرص على البذل للدين فيقبلون بقناعة تهديهم ولا تُريدهم .

رابعاً: خطورة الابتلاء بحب الظهور :

فإن هذه الآفة تستجمع في قلب المرء حتى يتخبط في تصرفاته ويتعثر في خطواته ومن ذلك، الحرص على الثناء على النفس في المجالس واستعراض العضلات البدنية أو الثقافية ليرز على غيره ويلفت أنظار الآخرين إليه وفي الصورة التي ذكرنا يلحظ المتأمل كيف أن حب الظهور أفقد هذا الأخ التوازن في حياته وخلط المهم بما دونه، وبالغ في أمر على حساب غيره، ثم انتهى إلى سقوطٍ ما كان يتوقعه .

ومحبة الظهور قد تكون عاقبتها أشد من هذا التخبط وذلك إذا ارتبطت بإظهار التفوق في العلم الشرعي أو الحفظ لكتاب الله أو كثرت العبادات وهذا الفعل يُدخل صاحبه في الشرك الأصغر (الرياء) .

قال ﷺ : ((ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟ قال : قلنا : بلى ، قال : الشرك الخفي أن يقوم الرجل يصلي فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل)) صحيح ابن ماجه (٢٣٨٩). وقد حذر السلف من

حب الظهور والتطلع للرئاسة قال شداد بن أوس : ((إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية، قيل لأبي داود : وما هي ؟ قال : حب الرئاسة، فهي خفية تخفي على الناس وقد تخفي على صاحبها)) .
خامساً : إياك والمبالغة في المدح .

قد يستغل بعض الدعاة أسلوب المدح والثناء من أجل تشجيع المدعو على مواصلة الطريق على الطاعات ومجالسة الصالحين وقد فعل ذلك النبي ﷺ لكن ينبغي الحذر والانضباط وعدم المبالغة، ومما جاء في التحذير من ذلك : قوله ﷺ : ((إياكم والتماذج فإنه الذبح)) صحيح الجامع ٢٦٧١ .
وقوله ﷺ : ((إذا رأيت المداحين فاحثوا في وجوههما التراب)) رواه مسلم .

وقال أهل العلم في الجمع بين مدح النبي ﷺ لبعض أصحابه وذمه للمدح : ((والجمع بين الأحاديث أن يقال إن كان المدوح عنده كمال إيمان وحسن يقين ورياضة نفس فليس بجرام ولا مكروه وإن خيف عليه شيء من هذه الأمور كره مدحه كراهة شديدة)) (١) .

وفي هذه الصورة قضية أخرى وهي :
أن مدح المدعو في أمر لا يخدمه في استقامته قد يجره إلى الحرص الزائد على البروز فيه ولو كان ذلك على حساب دينه ودعوته، وفي حادثة هذا الشاب حينما امتدحه أصحابه من الصالحين في إتقانه لفن الدفاع عن النفس غشي

(١) خطايا اللسان، عادل الجطيلي صفحة ٨٩، مكتبة الصحوة .

على قلبه وسارع للاستزادة في تعلمها وانتهى أمره إلى ما انتهى .. وهكذا ما يفعله بعض الدعاة من مدح بعض المدعويين على حفظ الأناشيد وترديدها أو إتقان البرامج الحاسوبية في مرحلة هم في حاجة إلى تقوية إيمانهم وتعريفهم بالأساليب الدعوية ونحوها .. ولذا ينبغي علينا أن نشجع المدعويين على أمور الخير وعدم المبالغة في أمور دنيوية قد تضرهم ولا تنفعهم .

سادساً : دوام الاتصال .. دليل المحبة الصادقة :

في غالب حوادث المنتكسين يهرع ثلاثة من الدعاة أو أربعة إلى المدعو في محاولة لإنقاذه من قراره الأثيم .. ثم تمر الأيام أو الأسابيع ثم تنقطع الصلة ويترك على غوايته .. والأولى أن ينظر إليه بعين الشفقة فيكلف واحداً أو أكثر لمواصلة الاتصال عليه والسؤال عن حاله .. فلعله يراجع أمره ويندم على فعله فيجد من يشجعه على اتخاذ قرار العودة إلى رحاب الصالحين من جديد .. وقد تطول الفترة فالصبر ، الصبر والله لن يضيع أجر الصابرين .

* * * * *

الصورة الثانية : ووقعت في الفتنة :

في صبيحة ذلك اليوم هرعت إلى شراء الجريدة .. لا لشيء إلا لأن اليوم هو موعد إعلان تعيين المدرسين الجدد .. هرولت إليها ودقات قلبي تنبض بالخوف .. فمكان الوظيفة الجديدة سيقلب حياتي وعلاقاتي .. ها هي الصفحة المطلوبة .. وها هو اسمي .. والحمد لله عُينت في مدينة جميلة لا تبعد عن مدينتي كثيراً .. اقترب موعد مباشرة العمل .. ودعت أهلي ولم أنس صحبتي الصالحة التي عشت معها أيام الهداية والطاعة .. ذهبت إليهم وودعتم ولهجوا لي بالدعاء .. ثم ركبت سيارتي ووليت مستقبلاً تلك المدينة والأسئلة الكثيرة في ذهني .. أين أسكن هناك ؟ ومديري في العمل كيف سيتعامل معي؟ وماذا عن الدعوة والصحبة الصالحة ؟

وبعد وصولي، وجدت شقة مفروشة مناسبة ، ومن حسن الحظ أنها متوسطة في المدينة تلك ، فقريبة من أماكن التسوق وأيضاً مجاورة لمقر عملي .. بدأ العام الدراسي وأخذت نصيبي من الحصص الدراسية وعشت يومي بين كدّ الوظيفة والتحضير لدروس الحصص .. أنها صعوبة البدايات .. ومشقة طلب الرزق أمرٌ لا بد منه .

وبعد أسابيع اعتدت على هذا الإرهاق ، وجلست أتفكر ، كم أنا في شوق إلى صحبة صالحة أتذاكر معهم ديني وأتشجع على الدعوة وإياهم ؟ وقطعت هذا التفكير بأنني في السنة الأولى في التدريس ولا بد من الحصول على تقييم مرتفع، والدعوة لها تكاليف كثيرة، وقد انشغل بها عن إتقان عملي وهذا

سيضرنني المهم قررت أن لا ألتحق بصحبة صالحة وأن أعطي لنفسي إجازة
عن الدعوة إلى الله وإنما حبسني العذر !!

ومرت الأيام وأنا في جهد جهيد مع التدريس لكنني شعرت بعد حين بالسامة
والملل وصرت أكثر من النوم، وما أكثر ما أصلي صلاة العصر في الشقة،
وبالطبع أعذر نفسي بأنني مسافر والسفر قطعة من العذاب وهكذا أقتل في
ضميري التائب ومعه لا عتاب ولا ندم .

وتوالت الأيام وصرت أشعر بطول اليوم والفراغ يجلب لي الضجر
والضنك، فانقدح في ذهني أن أتابع أخبار المسلمين من خلال القنوات
الفضائية التي توفرت لي في هذه الشقة المفروشة.. ولم أشعر بنفسي إلا
وأقلب على هذه القنوات بخيرها وشرها .. وأدمنت بعد حين مشاهدة
المتبرجات وصار ديدني السهر أقلب النظر في كل غادية ورائحة ، وكل
كاسية وعارية، فحطمت ما بقي في من التزام بالدين إلا صلوات سريعة
بعضها بعد خروج الوقت .. ولم أقف عند هذا الحد من التردي ، بل ازداد
عليّ البلاء يوم أن اتصلت بي فتاة لعوب عابثة في ليلة ما وشكت لي فراغها
وأخذت تحادثني لساعة أو أكثر .. وتدهور وضعي الوظيفي واعتاد الطلاب
تأخري عن الحصص الأولى .. لقد خسرت كل شيء ووقعت في الفتنة .. وأنا
القتيل وأنا القاتل .

• دروس وعظات من هذه الصورة :

أولاً : كيف جنى الشاب على نفسه ؟

وقع هذا الشاب في أسباب كثيرة أوصلته إلى الانحراف عن الاستقامة أما سفره ومفارقتة لأهله وإخوانه الصالحين فذلك قدر الله وهو أمر ليس بيده ولكن ما حصل بعد ذلك من إنفراد وتكاسل وفتور كل ذلك مما بوسعه أن يعالجه لكنه لم يبادر إلى ذلك .. وتفصيل ما تقدم ما يلي :

١ - إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

هكذا أخبر النبي ﷺ وفيه أن الإنسان إذا تجنب الصالحين استفرد به الشيطان ووسوس له ولا يزال يغريه بسبل كثيرة حتى يوقعه في حباله وليس ثم إلا المعاصي والآثام، والواجب على الحريص على دينه ألا يفارق الصحبة الصالحة وأن يصبر عليها وقد قال ﷺ: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) رواه البخاري.

وقال ﷺ : ((... عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد ...)) رواه الترمذي بتمامه .

٢ - وأين التربية الفردية؟

كثير من الصالحين يلتصق بالتربية الجماعية ويتجاهل التربية الفردية ولذلك عيوب عديدة ، منها :

أ - عدم قدرة المرء على مواجهة أعباء الحياة مع الناس فما اعتاد هذا حل مشكلاته لوحده .

ب - اقتران النشاط والحماسة للطاعات بوجود الجماعة الصالحة وهذا ليس صحيحاً بإطلاقه .

ج - عدم تربية النفس على المصابرة ومجاهدة النفس .

د - عدم تعويد الذات على محاسبة النفس ، بل تنتظر النصيحة من الآخرين مطلقاً .

هـ - قتل التفكير في كيفية ملء الوقت بالنافع المفيد، وانتظار البرامج الجماعية دوماً لحل هذه المعضلة .

وغيرها الكثير ..

فلا بد للمرء أن يجمع مع التربية الجماعية تربية فردية فيخلو بربه وينشط نفسه بنفسه إضافة إلى الاستفادة من بركة الجماعة وأنشطتها النافعة .

٣- لا تحقرن من الذنوب شيئاً .

فإن من الصالحين من يتساهل في ترك الصلاة أو الصلاتين جماعة، ويحسب أن أمره سيقف عند هذا الحد، فتأتيه الأيام بذنوب متتابعة قد تهلكه وقد أشار إلى ذلك الرسول ﷺ فقال : ((إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود ، حتى انضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه)) رواه الإمام أحمد .

وتلك هي خطوات الشيطان قال تعالى : ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (البقرة: ٢١٨) . وقد مر معنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية

حين قال : ((وأما اشتغاله بالسيئات فهو عقوبة عدم عمله للحسنات)) كما قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ (الصف) .

٤- من لم يشتغل بالحق ابتلى بالباطل .

فكثير ما يتخوف بعض الشباب الصالح على دراستهم أو أعمالهم الوظيفية فيتهربون من الأعمال الدعوية وقد يتجاهلون الدروس العلمية، وحقيقة أمرهم أنهم لا يستطيعون ملء أوقاتهم بالجدية الحازمة فيسقطون في مراتع المباحات والآثام والهزل وهكذا من لم يُشغل نفسه بالطاعات أخذته إلى السيئات، قال صاحب نفع الطيب :

هي النفس إن أنت ساحتها رمت بك أقصى مهاوى الخديعة

فإن شئت فوزاً فناقض هواها وإن واصلتك أجزها القطيعة

ولا تعبان بميعادها فميعادها كسراب بقيعة

٥- الغضلة عن عواقب إهمال النفس .

ذلك أن من غفل عن العواقب الخطيرة لإهمال الواجبات ومقارفة المنكرات أفاق بعد حين بعد أن صفعته المصائب والآفات ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الآية) . وحينها يندم حيث لا ينفع الندم ويتمنى حين لا تفيد الأمانى ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (الفرقان ٧٠) .

٦- اتقوا الدنيا .. واتقوا النساء .

لقد أخبر ﷺ عن عظم فتنة النساء فقال : ((ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء)) رواه البخاري ومسلم وغيرهما ..
وقال ﷺ : ((... فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) ورواه مسلم وغيرهما .

ولذا حريٌّ بالشاب التقي أن يعف نفسه بالزواج فإن لم يستطع فلا أقل من الابتعاد عن كل ما يأخذ بيده إلى هذه الفتنة العمياء ، فيغض بصره عن مشاهدة القنوات الفضائية ، والمجلات الماجنة، ويجنب سمعة الاستماع إلى العشق والغزل بهن من خلال الأغاني المحرمة ومع هذا وذاك يتعد عن الاختلاط بالنساء في الأسواق ونحوها .

ويجاهد نفسه في ذلك كله في سبيل المحافظة على دينه وتقواه وبعدها ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿ ومن حفظ حدود الله حفظه ورعاه ، قال ﷺ : ((احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ...)) ورواه مسلم وغيرهما .

ثالثاً : فإين الصحبة الصالحة الأولى ؟

لا يعني مفارقة الأخ لإخوانه أن يتجاهلوه ويتناسوا أمره، وحق الإخوة في الله لا ينقطع بتباعد المكان وكان الأولى بتلك الصحبة الصالحة أن يساعدوا أخاهم في غربته بإرشاده إلى صحبة أخرى تكون قريبة منه، وأن لا ينقطع الاتصال به والسؤال عن أحواله .. وهم يوم أن يفعلوا ذلك سيدركون أنه

توقف عن الدعوة إلى الله ، وقد يبوح لأحدهم بضجره من الفراغ وضيق صدره من الوحدة فيجد كلمة صادقة ونصيحة غائبة وحلاً صحيحاً لمشكلته .. ومن زاد على ذلك بزيارته في مكانه فمأجوراً مشكور .. وفي الحديث أن النبي ﷺ قال : ((ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة؟ (ذكر منهم) .. والرجل يزور أخاه في ناحية المصر في الله في الجنة))^(١) .

(١) صحيح الجامع الصغير (٢٦٠١) .

الصورة الثالثة : سوء الظن .. حطمني .

ها قد جاءت العطلة الصيفية بشهورها العديدة ، يا ترى ماذا بوسعي أن أفعل فيها ؟ أما السفر فليس بمستطاع فوالدي لا إجازة له في هذه الأيام، وبعض إخواني قد ارتبطوا بالدور الثاني فيحتاجون لمذاكرة ما عليهم من مواد .. سؤال لا أعرف جوابه : كيف ستمضي بي الأيام في هذه الإجازة الطويلة ؟ فكرت وقررت ، وقلت : لماذا لا أجرب المركز الصيفي ؟ لقد رأيت بالأمس دعوة للمشاركة في مركز قريب من منزلنا .. مسابقات ورحلات وألعاب ووالدي لن يرفض مشاركتي .. على أية حال هي تجربة لا تضر !!

* شاركت في المركز ولفت نظري حرص القائمين عليه على الأخلاق الفاضلة ومرت الأيام وأنا أحرص على الحضور والمشاركة الفعالة في البرامج المتنوعة ولازلت أتذكر إعجابي بالشباب المشاركين فيه فمنهم من يجيد اللعب وكأنه محترف وبعضهم يتصف بالجدية مع رفق وطيب قلب، وبعضهم يجيد المزاح ومرح جداً ..

جالستهم وجالسوني، وشعرت بالمتعة والطمأنينة معهم، رأيتهم يتعاونون معي كثيراً ويحرصون على حضورني دوماً ، فإذا تغيبت يوماً لظرف ما ، اتصلوا بي وسألوني عن صحتي وشجعوني على مواصلة المواظبة معهم .. الحق أنني لن أجد زملاء بل أخوه مثل هؤلاء ، كانوا يفتحون لي أبواباً من الخير كثيرة، ويحرصون إلا أقع في المعاصي حتى في أقل الكلمات ..

ساعدتهم في عمل الملصقات وإعداد الرحلات .. ومن بين هؤلاء الإخوة ، واحد كنت قرينه دوماً ، نذهب معاً ونرجع وكان يزورني كثيراً وأشعر أنه مخلص في كلماته معي يتعاهدني بالنصيحة وأرافقه دائماً في سيارته إلى الرحلات والمحاضرات وكان يحدثني عن الصحابة رضي الله عنهم وعن الرسول ﷺ وأحياناً عن الأشرطة الإسلامية المفيدة بل نذهب أحياناً إلى المكتبات والتسجيلات ويرشدني لشراء بعضها وقد وعدني أن نذاكر أحياناً سوياً إذا جاءت الدراسة، أحببته كثيراً واعتبرته أعز صديق بلا منازع وشاركته الهموم والغموم .. ذهبنا إلى مكة لأداء العمرة فتعلمت أموراً كثيرة في أحكام العمرة وصلاة الوتر وشاركت في النشاط الثقافي والاجتماعي في تلك الرحلة، وتعاقت الأيام وجاءت الدراسة من جديد .. غاب عني صاحبي لساعات عديدة فبحثت عنه فأخبرني بعد اتصال أن النشاط المدرسي يُعد الملصقات لدعوة الطلاب الجدد للمشاركة في ذلك النشاط وهو مشغول جداً .. صبرت أياماً ثم أفتتح النشاط وشارك معنا أفواج من الطلاب الجدد ولكن مع فرحة أستاذنا بذلك وسرور صاحبي كذلك إلا أنني كنت حزيناً لا لشيء إلا لأن صاحبي أصبح لا يلتفت إليّ ولم يعد يتصل بي كالسابق قلت لعلها أيام ثم ينجلي الأمر ولكن بعد أسابيع ازداد الأمر سوءاً فصاحبي ذاك أصبح يمر على بيوت الطلاب الجدد ويمجدهم كثيراً وأنا أترقب لعل وعسى فتساءلت لماذا أعرض عني ؟ فأنا صاحبه الأول وملتزم بديني وهؤلاء أو بعضهم لا أظنه يصلي مع الجماعة وبعضهم سخيف جداً بدأت وساوس

النفس تأخذ بي عن اليمين وعن الشمال وساءت الظنون لماذا صاحبي يجالس هؤلاء وهو يقول لي أن مصاحبة أهل الدنيا تُحبط الهمم ؟
لماذا صاحبي يُضيع الأوقات مع هؤلاء وهو يقول لي إن الوقت هو الحياة وسنسال عنه يوم العرض ؟ لماذا صاحبي يتكلم مع هؤلاء بكلام عادي جداً ولا يكاد ينصحهم وهو يقول لي قل خيراً أو لتصمت ؟ لماذا صاحبي يهتم بهم كل هذا الاهتمام مع أنهم ليسوا طلبة علم ولا حتى ملتزمين؟ لماذا يمر عليهم في بيوتهم ويجعلني في آخر الركب ؟

أحسست أن الدنيا ضاقت بي بما رحبت كيف يتخلى عني وعن المبادئ التي يحدثني عنها كثيراً، كان يحدثني في السابق عن ذهابه وإيابه أما الآن فيرد عليّ عبارات مُبهمة أنا مشغول .. كنت في شغل .. ماله يحدثني بلغة الأسرار !.
جلست في بيتي واختفيت عن الأنظار في غرفتي وأصبحت أبكي الدموع لماذا صاحبي الصالح يفعل هذه الأمور معي، هل يشك فيّ وأنا أخوه في الله كما يزعم ؟ لماذا يفعل خلاف ما يقول ؟ لماذا ترك ما أوصاني به ؟ لا أريد أن أستمع إلى الأشرطة .. لا أريد أن أقرأ الكتب .. أريد أن أبكي على الأيام الماضية التي أحسنت الظن بهذا وأمثاله .

انسحبت من النشاط الدراسي بتدرج وبعد أيام سألني على عجلة ذلك الصاحب وقال : الأستاذ يسأل عن حالك ؟ فقلت أنا مشغول .. كنت في شغل وقلت في نفسي يا عجيبي وأنت لماذا لا تسأل عني؟ إلى هذه الدرجة تحتقر من كان يفرح بمجيئك وذهابك .

ذهبت في أوقات الفسح إلى المطاعم القريبة من المدرسة وتعرفت على بعض الشباب فكانوا يمزحون معي ويفرحون بمجيئي فأسلمت لهم أمري، كنت ملتزماً لكن تخلى عني الصاحب فتخلت عن التزامه، فهل من معتبر ؟
دروس وعظات من هذه الصورة :

أولاً : المراكز الصيفية.. مكسب دعوي .

أن نعلم أن من نعم الله علينا فكرة المراكز الصيفية وهي فكرة رائدة لإزالة الحاجز والحجاب بين الشباب الصالح والشباب الضائع وهي فرصة لإزالة الأوهام التي تُعشعش في أذهان كثير من الشباب تجاه الملتزمين.. وفي ظني أن المركز الصيفي الناجح هو ذاك المركز الذي يستطيع أن يجمع بين تطوير الملتزمين سابقاً علماً وعملاً وهو كذلك الباب الواسع والصدر الحنون للشباب الضائع ليفكروا جدياً في الالتزام.. ونستفيد من كلام الصاحب المعترف بأن وضع إعلانات المركز الصيفي على أبواب المساجد لا يكفي فبعض الشباب من هؤلاء لا يذهب إلى المسجد وهو من الهاجرين له فينبغي أن تعلق الإعلانات في أماكن تواجد الشباب كالاستراحات والبقالات وتوزع على الأرصفة التي تكتظ بهم ولعل الله ينفع بها ((ولئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حمر النعم)) كما قال النبي ﷺ.

ثانياً : لا تكن داعية مدلاً !!

فبعض الدعاة حينما يتعرف على شاب تراه يرفعه على كتفيه من كثرة الخدمات ويُدله دلالاً عجيباً،

وفي ذلك آفات عديدة على المدعو :

- ١- فقد يظن في نفسه خيراً مادام أنه يُقدّر كل هذا التقدير .
 - ٢- وقد تجعل المدعو يُبغض البقية من الدعاة لأنهم لا يعاملونه بنفس المعاملة .
 - ٣- وقد يتعلق بك تعلقاً شخصياً وأنت تدعو إلى الله لست تدعو إلى شخصك وشخصيتك .
 - ٤- وقد تطرأ أمور تضطر بها إلى السفر أو الابتعاد عن هذا الشخص المدعو فسيبحث عنك وتتعرض الأمور فتبتعد عنه ويتعد هو عن الصالحين غيرك ((وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)) .
 - ٥- وقد يلتزم هذا المدعو ويصبح داعية فيظن أنه لكي يكون داعية لابد أن يدلل المدعوين فتصبح سلسلة من الضياع .
 - ٦- وقد يصبح هذا المدعو إتكالياً يعتمد عليك في كل صغيرة وكبيرة حتى يبلغ به المقام أنه إذا وقع في معصية فإنه لا يتوب إلى الله إلا بعد أخذ مشورتك .
- آفات كثيرة هذه بعضها فالأخرى بالداعية أن يكون رفيقاً كما قال ﷺ : ((ما كان الرفق في شيء إلا زانه وما نزع من شيء إلا شانه)) . فالرفق مطلوب.. الرفق في النصيحة وفي الموعدة.. أما الدلال فمذموم، بل ساعده كي يقدم خدمات لهذا الدين، وليشعر أنه مسئول عن دينه كما أنك أنت مسئول عنه، ينبغي أن تشجعه ليتحرك في خدمة إخوانه في الله ليشعر أن لهذا

الدين حقوق وللأخوة حقوق.. إذا فعلت ذلك فقد جمعت بين الرفق في الدعوة وساعدته على أن يكون جاداً في التزامه.

ثالثاً : أهمية تعلق الشاب الملتزم بالشرع لا بالأشخاص الذين دعوه .
ولك أن تتأمل دعوة الأنبياء قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ (آل عمران: ١٤٤) . فالرسول ﷺ لا ينبغي التعلق بذاته فما بالك بغيره من الناس.. نعم إن الدعاة وللعلماء مكاناً في القلوب ولكن مع هذا ينبغي أن نوازن بين الأمور وان نعدل مع دعائنا ومشايخنا فلا نطغي بهم ولا نتعلق بهم على حساب ديننا.. بل نتعلق بالمنهج الحق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.. أما الأشخاص فيذهبون ويحيئون، يموتون ويموتون بل يهتدون ويضلون ويصيبون ويخطئون فينبغي أن نرتبط بالكتاب والسنة وما يحبه الله ويرضاه وعلى هذا نترقى ونربي .

رابعاً : سوء الظن يأتي بأكثر من ذلك :

ولقد حرم الإسلام سوء الظن بالله ورسوله والمؤمنين المعروفين بصلاح الحال واستقامة الخلق قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ وبين سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾ .

وقال ﷺ كما في البخاري : ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)) .

فهذا الشاب الذي ترك الالتزام أساء الظن بذلك الداعية فاتهمه بأنه يكفر العشير وأخوته غير صادقة وأنه يقول مالا يفعل واتهامات عديدة كان على أثرها القرار الأخير الانسحاب من الصالحين وكان الأولى به أن يُحسن الظن بذلك الداعية ويتلمس له الأعذار ولكن لقلة تجربته وعدم إحسان تربيته تصرف بما تصرف ولعلي ألتفت إلى قضية مهمة وهي أن الداعية ينبغي أن يربي المدعو على إحسان الظن بجميع الصالحين وأن يحرص على أن يكون هو يحسن الظن بالآخرين أيضاً لأن المدعو يتأثر بالداعية.. فإذا وجدته يسيء الظن بالآخرين كان مثله.. ومن شابه مُربيه فما ظلم .

خامساً : الوضوح في حياة الداعية مطلب عظيم .

فلغة الأسرار والعبارات المبهمة لا داعي لها ألبته .. نعم أتفق معك أنه ليس كل ما يُعلم يقال، فالناس تختلف عقولهم ولو قيل كل معلوم لحصلت الفتنة ولكن لنجعل الأصل في حياتنا الوضوح أمام الناس، ما الذي يمنعك من أن تخبر المدعو أنك تحاول التقرب لتلك المجموعة من الشباب ليكونوا صالحين بين له أهمية الدعوة والأجر الجزيل لمن يدعو إلى الله، وأنا إن كنا نحبهم فلا بد أن نحرص على هدايتهم، عندها سيضحى معك في سبيل الدعوة وسيتعلم منك الكثير، أما لغة الأسرار فلا تزيد الأمر إلا سوء -والعياذ بالله- .

سادساً : دع غيرك يُكَمِّل البناء :

بعض الدعاة يملك موهبة عظيمة وهي سرعة التعرف على الآخرين وتجده يُحسن امتلاك قلوبهم خلال أيام أو أسابيع وهذه نعمة عظيمة إذا أُسْتُغلت لهذا الدين ولكن حتى لا يتكرر الخطأ الواقع من هذا الداعية فيتعرف على واحد ثم يتركه ليتفرغ للآخر فهذا من قبيل تضييع الجهود وهدار الطاقات والحالة المنتكسة التي معنا خير شاهد.. ولو تكامل هذا الداهية مع غيره لكان أحسن وأخيراً - فأنت أيها الداعية حينما علمت أنك في الأيام المقبلة ستشغل بدعوة هذا وذاك فلماذا لا توصي أحد الدعاة من أصحابك ممن لا يُحسن التعرف على الآخرين أن يواصل الاتصال بهذا المدعو الذي بين يديك أما إهماله والانصراف عنه فهذا ظلم له نخاف عليك أن تأثم فقد تكون ممن تسبب في رجوعه وانتكاسه فهل ترضى بذلك ؟

* * * * *

الصورة الرابعة: ماذا بعد النقد والجدال ؟

أنا شغوف بالقراءة، قرأت المئات من القصص البوليسية والأدبية، واطلعت على ألوف المجلات الجادة والهازلة - أقول ذلك بلا مبالغة - وتيسرت الأمور لأكون ملتزماً من خلال تعدد اللقاءات ببعض الصالحين في مدرستي الثانوية.. جلست معهم الجلسات فكنت استمع إليهم وهم يشجعون على القراءة ولكن لما ينفع من الكتب فحسب، فكنت أتلقف أسماء الكتب والرسائل ثم أذهب فوراً إلى المكتبات الإسلامية فأشتريها، وإن لم يكن بين يدي المال أخذت من والدتي والتي كانت فرحة بتوجهي للكتب الدينية.. بدأت أقرأ وأسهر الليالي لا أدع الكتاب حتى أنهيه من الغلاف إلى الغلاف ولأنني قوي الحفظ كنت وبسهولة أحفظ الاختيارات الفقهية للعلماء وأقوال أهل الحديث والتفسير وسمعت مرة أحد المحاضرين ينقل عن كتب مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية فراودتني نفسي لأجمع المال واشتريها.. صارحت أستاذي بأني عازمٌ على شرائها فنصحني بأن أوجل الشراء حتى أنتهي من بعض الكتب التأسيسية، فنظرت إليه نظرة المعاند وخرجت من عنده وأنا أقول في نفسي لا يدري المسكين أنني قرأت عشرات المجلدات، تصفحت مجموع الفتاوى وأعجبت بشيخ الإسلام وحق له أن يعجب به كل قارئ.. جلست في المدرسة أتفكر كثيراً في حال الشباب الذين معي ، ما لهم لا يقرأون ولا يطلعون مثلي، أين الالتزام ؟ أين طلب العلم فانتقبض قلبي منهم قليلاً كنت أترصد لمدرس الفقه والتوحيد، فكلما عمم في الكلام قيدته،

ودارت بيننا حوارات ساخنة، وحادثني بعض أصحابي أنه لا يليق بي أن أعترض على مدرسي بهذه الشدة. فكنت أرد عليهم بأن الحق أحق أن يتبع! وأعرضت عنهم، وتتابعت الأيام، وفي أحد المجالس تكلم أستاذي عن موضوع عام فلما ختم حديثه لم يلتفت إلا وقد علقت على كلامه، وبينت مذهب الفرق الضالة في هذا الموضوع والردود عليهم و..و.. مر المجلس والحضور في ذهولٍ مما أقول وبعضهم أغمض عينيه من السآمة والملل ولما انتهى المجلس، وذهب كلٌ منهم لشأنه ، ناداني الأستاذ وأمسك بيدي، وبارك لي حرصي على طلب العلم، ولكنه أتبع ذلك بنصيحتي ((أن الحاضرين فيهم المبتدئ وفيهم الجاهل تماماً وفيهم وفيهم ، وهو يخاف على هؤلاء التشويش ولذلك لم يذكر إلا ما يناسبهم قي وضعهم الحالي وفي وقت لاحق سيعلمهم هذه الأمور.. فأنكرت عليه معاتبتي وخرجت من عنده غاضباً، وبدأت أحدث نفسي وأقول.. هؤلاء يطرقون مواضيع مكررة ومعروفة عندي، ما الذي يدعوني لحضور مجالسهم؟ أنا في غنية عنهم ورحلاتهم.. قد ضيعوا وقتي وصرفوا اهتماماتي مالي وشأنهم؟ وبعد تخرجي من المرحلة الثانوية التحقت بالجامعة وتخصصت في قسم شرعي .. وهناك تعرفت على مجموعة من الشباب يكثرون من الحديث عن الخلافات الفقهية، وديدنهم النقد والجدال.. وما شعرت إلا وقد دخلت في تلك المعمة.. ثم ازداد الأمر سوءاً يوم أن صرت أتهجم على العلماء وقد أتجاوز في الكلام إلى الخوض في نباتهم ومقاصدهم.. حذرني من ذلك بعض الناصحين لكنني لم أخذ

نصيحتهم مأخذ الجدِّ .. وفي يوم من الأيام جلست مع نفسي وقلبت أوراقها الماضية .. فماذا وجدت ؟ .. لقد زهدت بالسنن الرواتب بل تقاعست عن بعض الفرائض .. لساني تلوث بالكلام في لحوم العلماء ، وعقلي وقلبي في صراع دائم بسبب تخلفي بالجدال والتهمك بالمخالفين .. يا أهي لماذا وصلت إلى هذا الموضوع ؟ .. أشعر أنني أدور في دائرة مظلمة .. نفر الأصحاب من مجالستي، واستكثرت من الخصوم بغير حق .. حينها قلت : كفى غروراً وأظهر ضعفك وتقصيرك.. وبالفعل رجعت إلى الوراء.. رجعت إلى الكتب الأدبية وغرقت فيها وصرت لا أسمع إلا الأشعار والحب والغزل .. وأنت تعلم ماذا بعد ذلك !!)) .

دروس وعظات من هذه الصورة :

أولاً : بنست العجلة ..

فمما جُبِل عليه بعض الشباب خلق الاستعجال، وفي هذه الصورة ظهر لنا استعجال الشاب في أمور كثيرة :

- ١- استعجل هذا الشاب الخوض في كتب لا تتناسب مع خلفيته الشرعية .
- ٢- استعجل في بث بعض المسائل العميقة في المذاهب والفرق أمام شباب لم يتعرفوا على أطراف المذهب الحق وهو عقيدة أهل السنة والجماعة .
- ٣- استعجل في رد نصيحة الناصحين دون تأمل .
- ٤- استعجل في الخوض في الخلافات الفقهية دون تأصيل سابق .
- ٥- استعجل في اتهام مقاصد العلماء وانتقاصهم .

والإسلام ينظر إلى الاستعجال نظرة عدالة وإنصاف، فلا يحمده بالمرّة، ولا يذمه بالمرّة، وإنما يحمّد بعضه، ويذم البعض الآخر .

فما فعله هذا الشاب مذموم لأنه مجرد فورة نفسية خالية من تقدير العاقبة ومن الانضباط بالضوابط الشرعية .

أما المحمود من الاستعجال : فهو ما كان ناشئاً عن تقدير دقيق للآثار والعواقب وعن إدراك تام للظروف والملابسات وعن حُسن إعداد، وجودة ترتيب وهذا ما لم يوفق إليه هذا الشاب في تعامله مع أصحابه ومدرسيه ومشايخه، والأولى بالشاب الصالح أن يجاهد نفسه على التروي وإلجام عواطفه بلجام العقل، ومما يعين على ذلك الرجوع إلى العلماء والدعاة والاستفادة من مشورتهم، والتشاور مع أهل التجربة والخبرة مؤكدة النفع، لأنهم لا يصدرون في رأيهم إلا عن يقين مؤكد، أو على الأقل ظن غالب ، فالصدق مبتغاهم والنصح دليلهم والحق طلبتهم ، ولا يتم ذلك إلا بالمشاورة، وتمحيص الآراء^(١) .

ثانياً : غرور الذات .. يمنع من الاستفادة من الآخرين :

ففي الصورة التي ذكرنا وجدنا أن الاعتماد الكلي على الحول والقوة والثوق بالذكاء والفتنة ونسيان حقيقة الإنسان ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ . والمرء يوم أن يزعم كمال علمه فذلك الدليل على تمام جهله .

(١) الحماس الذي نريد : للمولف ، صفحة ٨٣ .

ثالثاً : ماذا بعد الجدل ؟

هذه الآفة شهوة يتلذذ بها بعض الشباب في مجالسهم حتى يُعرفوا بها ، وترى الواحد من هؤلاء يكثر الاعتراض والخوض في أمور لا تخصه ، والواجب التفريق بين الجدل وحب الاعتراض ومحاولة الفهم ومحبة المعرفة .

وقد حذر النبي ﷺ من عاقبة الجدل فقال : ((ما ضل قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)) . ثم تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ .

وقال ﷺ : : (أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً). فمن أراد السلامة وبقاء صفاء الأخوة فليجعل حوارهم بعيداً عن الأنظار لتلا تأخذه العزة بالإثم فيهرع للانتصار على مخالفه ولو كان بغير حق .
رابعاً : لحوم العلماء مسمومة :

فإن من هتك ستر العلماء وتكلم فيهم بغير حق أبتلي بسوء ذنبه وقد يُختم له خاتمة سيئة كما قال الجاحظ ابن عساكر -رحمة الله- : ((وأعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ، أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة : لأن الوقعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيم، والاختلاف على من أختاره الله منهم لنعش العلم خلق ذميم ..))(١) .

(١) تبين كذب المفترى ، صفحة ٣٩ ، عن كتاب (تصنيف الناس) .

٥ - كيف نتعامل مع المنتكس ؟

شاب يافع تفوق على أقرانه لسنوات ، وشهد له بالالتزام ومحبة العلم ، والتمكن من بعض مسائله، ولكن ظهر منه بعد ذلك التراجع والنكوص، وأصبح متساهلاً بل ومُظهراً للمعاصي مجاهراً بها، فكيف السبيل إلى إعادته إلى طريق الهدى، وهو يحفظ أكثر مما نحفظ ويُحسن من الوعظ ما لا نحسن أو هكذا كان ؟ ، كثيراً ما يتردد هذا السؤال وخلصته كيف نتعامل مع المنتكس ؟ والجواب : ينبغي أن نعلم أن لكل حالة منتكسة وضعها الخاص، وهذا يعني أن طبيعة التعامل مع المنتكسين ليست على درجة واحدة ،

ولذا يمكن ذكر بعض الوصايا العامة ولكل أخ أن يختار منها ما يناسب الحالة التي أمامه فمن الوصايا في التعامل مع الشاب بعد انتكاسه ما يلي :

١- ينبغي أن نعلم أن الإنسان الذي عرف الهدى واستقام ثم انحرف يحتاج إرجاعه إلى صبر وطول نفس والذي يظهر من التجربة أن مثل هذا الصنف يحتاج إلى نوعية أخرى تخاطبه غير النوعية التي كان يعيش معها يوم أن كان ملتزماً، والسبب في ذلك أن هذا الشاب قد يكون حاملاً لانطباع غير جيد عن مجموعته الأولى فيصده ذلك عن لين الجانب والرضوخ للحق .

٢- مثل هذه النوعية لا يحسنُ أبداً أن تؤتى على سبيل التوبيخ والذم والتفريع، بل يُنصح المنتكس بالتي هي أحسن، ويُفتح باب الحوار معه

ويُستمع إليه، ويُعطي فرصة لُيبين ما الإشكالات التي أثرت عليه وتدفع الشبهات وترفع الإشكالات ويؤخذ بيده وما كان الرفق في شيء إلا زانه ٣- من المتكسين من يكون في خطواته الأولى للتراجع عن الالتزام فمن كانت هذه حاله فالأولى الاقتراب منه جداً دون إشعاره بأنه يعامل كمتكس ، ويشجع على أعمال الخير ويُطالب بحضور مجالس الصالحين ليرتقي إيمانه فلعل الأمر فتوراً بعد شبره .

٤- من المتكسين من تحرك في هذا الاتجاه المظلم بسبب بعض الأخطاء التي وقعت عليه من مجموعته الدعوية أو بسبب عدم تألف بينه وبينهم فينبغي إقناعه بأن المؤمن يتمسك بدينه ولو كان وحيداً فريداً ، ويبين له أن الالتزام ليس حكراً على هذه المجموعة الطيبة فإن مجالس الصالحين كثيرة ، فلو عاش مع غير هذه المجموعة لكانت النهاية المشرقة لهذه المشكلة ، وهذا خير له من نكوص وعاقبة غير حميدة .

٥- من المتكسين من لا علاج له إلا الوعظ والتخويف من الله عز وجل جلاله وذلك على لسان أحد إخوانه في الله ممن يُحسن الوعظ أو بإهدائه شريطاً مناسباً يُذكر بالله ويوقظ هذا الغافل بأسباب سوء الخاتمة ويرغب بنعيم الجنة ويهرب من عذاب الآخرة .

٦- وصية مهمة وهي أن لا تُقطع العلاقة بالشاب المتكس ولو أصر على نكوصه وجاهر بمعاصيه، فإن من المتكسين من يزداد فحشه وفجوره بسبب غلطة الصالحين وشدة تعاملهم معه بعد تغير حاله، ومادام أنه لم

يرتد عن الإسلام ولكن تساهل في مواجهة الذنوب، فإن حق المسلم مازال باقياً والواقع يشهد أن بعض المنتكسين إنما تراجع لنزوة وشهوة جارفة أخذت به حتى إذا أروى قلبه المتعطش إلى المعاصي أصيب بالملل والكلل واكتشف أنها لذة تنقطع وتبقى حسراتها وعندها يعلم علم اليقين أن لا لذة ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بالالتزام بالدين والسعي فيما يرضى الله عز وجل وحينها سيتذكر أخاه الصالح الذي لم ينقطع عن الاتصال به والسؤال عن حاله فيسارع إلى الالتقاء به ليعلن توبته ورجوعه إلى الله، فيأخذ الداعية بيده إلى طريق الهداية من جديد .

٧- قد يجتهد الداعية في محاولات كثيرة لإعادة ذاك المنتكس إلى رشده فيزوره ويهديه ويدعوه ويرسل من أصحابه من يعظه وينزيهه، وهي محاولات مشكورة.. ولكن الأحرى ألا ينسى سهام الليل فإن من المنتكسين من عاد إلى الله بسبب دعوة صالحة من أخ محب في الله قام في آخر الليل وألح على الله بالدعاء قائلاً: اللهم قر عيني بعودة أخي فلان إلى طريق الهداية .. اللهم رد أخي فلان إليك رداً جميلاً .. برحمتك يا أرحم الراحمين .

* * * * *

٦ - أعتذار واهية !!

الاعتذار الأول : في بعض الحالات يعتذر من انتكس عن التزامه أن سبب تراجعه عن الاستقامة هو تعامل الشباب الملتزمين معه، وتجدده يؤكد أن قسوتهم أو جفاءهم هو سبب تراجعه وانتكاسه، فهل يقبل هذا المبرر ؟ .

يقول المربي محمد الدويش : (لو قدر لك أن تعيش لحظات من النقاش و الحوار مع أحد الناكسين ، فإنك ربما خرجت بنتيجة مؤداها أن هذا المسكين معذور تماماً. ذلك أن أصحابه السابقين و الأخيار كانوا هم السبب المهم وراء ما صار إليه ، إذ إن العواطف الشخصية ، والاعتبارات الخاصة تحكم الكثير من مواقفهم وتعد مقياساً لعلاقاتهم ، فهم يقربون فلاناً ويقصون الآخر ، وقد كان من حظ صاحبنا المسكين أن يعامل معاملة قاسية ، وأن لا تراعى ظروفه و مشاعره! أو أن ظاهرهم لا يعكس باطنهم ، فهم صالحوا الظاهر لكن باطنهم ينطق بخلاف ذلك ، فليدهم من الأغراض السيئة و المقاصد الدنيئة ما يجلب عن الوصف ، وقد وثق صاحبنا بهم فظنهم من أهل الصلاح وليسوا كذلك! أو أن لديهم أخطاء وتجاوزات شرعية ورقة في الورع والدين! إنها نسخة مكررة من حجج يرددها كثير من الشباب الناكسين ، حتى أنه ليخيل لمن يسمع له أن المسكين معذور مظلوم ، وأن فلاناً وفلاناً هم السبب في إضلاله . وليس العجب من منطق هؤلاء الناكسين، فهذا هو المنتظر من أمثالهم . لكن العجب من أولئك الذين يصدقون هذا الحديث و ينظلي عليهم . أحدهم - وكان من أسوء الطلاب الذين عرفتهم ديناً وخلقاً- توجهت له بمحديث خاص ذات يوم ، ففتح لي صفحة من ماضيه و أنه كان له رفقة (ظاهرهم الصلاح!) و ذكر لي عنهم ما أرى أن تصديق المستحيل أقرب إلى العقل منه ، فقلت له : هب أني عطلت عقلي و صدقت ما تقول ، حين يكون أصحابك على هذه الحال فهل هذا عذر يسوغ لك هذا الانحراف

والسوء الذي أنت عليه ؟ إن قضيتي معك ليست صحبة أولئك أو غيرهم فمن حَقَّك أن تصاحب من تشاء و تفارق من تشاء . لكن قضيتي الأساس هي هذا الواقع الذي أنت عليه فهل له ما يبرره ؟ إن المرء يسعى للدفاع عن نفسه قدر الإمكان ، و إسقاط التبعة على غيره ولو من خلال تهمة لا بينة ولا برهان وراءها . وأصحاب هذا السلوك لهم أسوة وسلف كانوا يقولون حين يأتي أحد المؤمنين بصدقته : (ما أراد هذا إلا الرياء و السمعة) وفيهم نزل : { الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات و الذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم } . ولا ينتظر من هؤلاء الناكسين إلا هذا المسلك و المنطق ، ولا ينبغي أن نعتقد أن هؤلاء لا ينطقون عن الهوى ، ولم يجرب عليهم الكذب في حياتهم فنتهم الناس بناء على ما يقولون ، و ينبغي أن لا يشغلنا ذلك عن أن قضيتنا مع هؤلاء ليست واقع إخوانهم إنما هي قضية التدين والاستقامة .

الاعتذار الثاني : وفي حالات أخرى يعتذر من انتكس عن التزامه أن سبب تراجعته عن الاستقامة هو خوفه من النفاق ، وتجده يؤكد أن هذا الخوف هو سبب تراجعته وانتكاسه ، فهل يقبل هذا العذر ؟ .

ويجاب بأن النفاق في الاصطلاح الشرعي هو إظهار القول باللسان أو الفعل بخلاف ما في القلب من القول والاعتقاد ، أو هو الإنسان الذي يستر كفره ويظهر إيمانه وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : (أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر) ، قال الإمام النووي رحمه الله في شرح هذا الحديث (قد أجمع العلماء على أن من كان مصداقاً بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يحكم عليه بكفر ، ولا هو منافق يخلد في النار ، فإن أخوة

يوسف عليه السلام جمعوا هذه الخصال ، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا أو كله ، وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى إشكال ولكن اختلف العلماء في معناه ، فالذي قاله المحققون والأكثرين وهو الصحيح المختار ، أن معناه أن هذه الخصال خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم ، فإن النفاق إظهار ما يظن خلافه ، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعدته واثمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يظن الكفر ولم يُرد النبي صلى الله عليه وآله بهذا أنه منافق نفاق الكفار المخلدين في الدرك الأسفل من النار ، وقوله صلى الله عليه وآله (كان منافقاً خالصاً) معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال ، قال بعض العلماء هذا فيمن كانت هذه الخصال غالبية عليه ، فأما من يندر ذلك منه فليس داخلاً فيه ، فهذا هو المختار في معنى الحديث ...) وقال الحافظ ابن حجر : (والأولى ما قاله الكرماني : إن حذف المفعول من (حدث) يدل على العموم ، أي إذا حدث في كل شيء كذب فيه ، أو يصير قاصراً ، أي إذا وجد ماهية الحديث كذب ، وقيل محمول على من غلبت عليه هذه الخصال وتهاون بها واستخف بأمرها ، فإن من كان كذلك كان فاسد الاعتقاد غالباً) فينبغي أن تفهم هذه الأحاديث فهماً صحيحاً ولا تجعل مبرراً للانتكاسة والمجاهرة بالمعاصي .

ويجد غيرهم أعدارا وأعدارا ، لكنها تبقى بعد ذلك حجج بينه وبين نفسه ، وحجج يواجه بها الناس ، ولن تنجيته أمام الله عز وجل .

٧- رسالة إلى منتكس^(١)

أخي العزيز حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

أتمنى أن تقرأ هذه الرسالة وأنت تتمتع بوافر الصحة وجميل العافية.....

أخي الكريم : هذه رسالة ود ، وتجديد محبة صادقة ، من أخيك وزميلك الذي عرفته والتقيت به مراراً ، وأرجو أن تكون عرفته محباً ، وناصحاً ، ومشفقاً لا يالو الخير ما أصابه . لقد عرفتك جيداً ، والتقيت بك مراراً ، وما كان لهذه السنين التي مضت أن تمحو من مخيلتي تلك الشخصية ، أتذكرك فأذكر ذاك الشاب حسن الخلق طيب العشرة كريم الود . أتذكرك فأتذكر ذاك الشاب الحريص على طاعة الله سبحانه وتعالى ، فتارة أراه يصلي، وأخرى أراه تالياً للقرآن، أتذكرك فأتذكرك ذاك الشاب الذي كان يحدثني كثيراً عن الثبات وخطورة الانحراف ،أتذكرك فأتذكر ذاك الشاب الذي كان يشارك زملاءه وإخوانه عبادتهم، وحفظهم للقرآن، ومجالس العلم والوعظ .

أخي الكريم : والله إن تلك الصور وغيرها لا تزال شاخصة أمام عيني وناظري ، وحين يقفز اسمك للذهن ، ويدور خيالك بالبال تتسارع تلك الصور المضيئة ، والجوانب المشرقة ، وتتلاحق لتأخذ مكانها ، حتى يعكرها ما صار إليه صاحبي بعد ذلك.

أخي الكريم : لن أنساك وأنت الأخ الذي أحببته في الله ، وتمنيت أن أحشر وإياه تحت ظل عرش الرحمن ، ونلتقي إخوانا على سرر متقابلين . وطول تلك الأيام التي فرقتنا وصورتك وخيالك يقفزان إلى الذهن بين الفينة والفينة ولكن صار ما كدر الخاطر ، وأزعج الفؤاد مما لا يخفى عليك.

(١) نقلاً عن موقع صيد الفوائد ، (بتصرف).

أخي: هل تفضل على نفسك لتقف معها ساعة محاسبة ، ولحظات مصارحة ، فتقارن بين ما أنت عليه الآن وبين ما كنت عليه قبل ذلك ، أدعوك إلى أن تجري حساباً صادقاً مع نفسك قبل الحساب الذي ليس بعده عمل ، أدعوك إلى حوار صريح له ما بعده قبل أن يتحاور أهل السعادة وأهل الشقاوة.

أخي العزيز: لازال الباب مفتوحاً ، والطريق مشرعا ، أو لست تقرأ قول العزيز الغفور (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم)

فكن جريئاً وجاداً وحازماً مع نفسك ، وأعلنها عودة صريحة إلى الله من الآن ، إنني لا أطلب منك أن تسلك طريقاً مجهول المعالم ، لا تدري ما وراءه ، إنني أطلبك أن تعود لفطرتك التي فطرك الله عليها ، أن تعود لتلك الحال التي كنت فيها في قطار الصالحين والعابدین.

أخي: شتان بين من يبقى على الخير ويجاهد نفسه، فيكبو وينهض، ويهوي ويفيق، ويحب الصالحين، ويجالسهم، فيكون ممن يقال له (أنت مع من أحببت) ويقال له (هم القوم لا يشقى بهم جليس). ويتجنب المجاهرة بالمعصية ليصبح من أهل العافية(كل أمتي معافي إلا المجاهرين). شتان بين هذا وبين من يجاهر بسلوك غير طريق الصالحين.

أخي الكريم: سطرت لك هذه الرسالة ، وكلني أمل أن أرى وجهك المشرق ، وأسعد باتسامك اللطيفة التي لم ولن أنسها .

٧- أنا الذي جنى (*)

يا صاحبي كفى ! عدتني العذاب
هيجت مدمعي فزدته انسكاب
بكى وماله سوى البكا جواب
وبين أضلعي من الأسى التهاب
أنا الذي جنى وضئع الصواب
قد كنت في الهدى وكان لي ركاب
مقرباً أبه موثع الجناب
فأزني الهوى أزا وما أصاب
حسبني فتى أقوى على الشباب

(*) مجلة الأسرة ، باسل الرشود ، العدد ٥٢ ، صفحة ٧٢

ركضتُ في المنى	ولجتُ كلَّ بابٍ
هنا وههنا	أجولُ كالعُقابِ
وصاحبُ الهوى	كصاحبِ الشُّرابِ
لما شربته	سَكرتُ بالعذابِ
عُدَّبتُ إذ بدا	من ربي الحجابِ
فذي مُنأى لم	تكن سوى سَرابِ
نام الفؤادُ عن	شريعة الصوابِ
حتى بعثه	يا صاحب الكتابِ
فكانت العتابِ	وكانت المتابِ
أواه يا أخِي	ما أباسَ الشُّبابِ

ما أباسَ الفتى	إن ضيِّعَ الكتابُ
عليه زينةً	وجوفه خرابُ
عجبتُ يا أخي	مُنِّي ولي عُجابُ
من طالَ عيشُه	في دينه وطابُ
فكيف يشتهي	من بعده شرابُ؟
يا صاحبي كفى	أحسنَ لي الخِطابُ
يجزيك ربُّنا	بأحسنِ الثَّوابِ

قائب

المحتويات

- ١ - بين يدي الرسالة ٣
- ٢ - تقارير أطباء القلوب ٥
- ٣ - أسباب الانتكاسة عن الالتزام ١٠
- ٤ - كنت ملتزماً !! ١٦
- أ- حب الظهور أصاب مقلتي ١٦
- ب - ووقعت في الفتنة ٢٥
- ج- سوء الظن .. حطمني ٣٢
- د - ماذا بعد النقد والجدال ؟ ٤٠
- ٥ - كيف نتعامل مع المنتكس ؟ ٤٥
- ٦ - أعدا رواهية ٤٨
- ٧ - رسالة إلى منتكس ٥١
- ٨ - أنا الذي جنى (على نفسه) ٥٣